



من المفارقات المبكية المضحكة أنه بذات اللحظة التي صعد المسلمين من صرختهم ضد إهانة أشرف الخلق محمد - صلى الله عليه وسلم - باعتباره رمز الإسلام والمسلمين، نرى أزلام بشار تحاول ركوب الموجة لتصطاد في الماء العكر، ولتعلن للعالم أنها هي أيضا ضد الفلم المسيء، ولكنها نسيت الواقع المسيء التي انغمست فيه حتى أخمص قدميها.

طبعا ردة الفعل العنيفة في الكثير من البلدان كانت موجهة للدولة التي احتضنت منتجي ومرجوبي وممثلي الفلم والذين احتموا بالقيم الأمريكية التي تنادي بالحرية في كل شيء ما عدا العداء للسامية؛ ضمن معايير مزدوجة درجت عليها تلك الحضارات للدفاع عن الصهيونية في مواجهتها للإسلام والمسلمين والعرب سواء في وطنيتهم أو معتقداتهم. لذلك كانت الغضبة عارمة من العرب والمسلمين وأسبابها تمثلت بداية في طريقة تناول الغرب للقضايا المناهضة للعرب والمسلمين، فكل ما يسيء للعرب والمسلمين مسموح من باب الحريات ويدخل في صلب القيم الغربية، وكل ما يسيء للصهيونية فهو ممنوع من باب معاداة السامية .

أيضاً التوقيت الذي اختير بعناية فائقة للتنكير بأحداث سبتمبر عند الأميركيين لكي لا ينسى الشعب الأميركي أن عدوه هو العرب والمسلمين وبالتالي كان القصد من عرض الفلم هو إثارة الاحتجاجات بهذه الصورة كي يبلغ العنف مدى يثير معه انتباه عامة الغرب إلى الخطر الذي مازال كامنا عند العرب والمسلمين ضدهم؛ حتى بعد ثورات الربيع التي منحتهم جرعة ديمقراطية شكلية؛ وأبقيت على نظام الاستبداد الذي ما زال يبطش بالشعب بذات اليد وبنفس الأسلوب الذي تعودوا عليه.

أيضاً الغاية الأخرى هو تخويف المتخمسيين الجدد لدول الربيع العربي أو الذين يندفعون لتحقيق أو دعم حرية شعوب تلك الدول بأن القاسم سوف يشكل خطراً على مجتمعاتهم لأن تلك الشعوب لا تزال تحمل العداء للغرب والسامية.

لذا فإن منتجي الفلم المسيء لم يكونوا مكتربين بالقيمة الفنية أو الهدف أو المحتوى أو الإخراج أو إضافة أية قيمة معنوية للفيلم، وإنما كان همهم الأكبر طريقة الإهانة التي يحملها في طياته، وبالتالي هم يعملون على إثارة الضجة الإعلامية من خلال الماكينة الإعلامية التي يملكونها، ويبقى على المجتمع البسيط أو الموجه أن يستجيب للتحريض ويقوم ببعض الأعمال التي تتحقق في النهاية الهدف الحقيقي من هذه الأعمال.

وطبعاً عامة المسلمين لا تملك إلا ردة الفعلية العفوية تجاه مثل تلك الإساءات، لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو رمز وشعار وغاية كل مسلم محب، لكن المشكلة ليست في ردة الفعل وإنما في الوعي الحقيقي للمسألة وإدراك الخطر الحقيقي على الإسلام والمتمثل بالأدوات الصهيونية التي تعيث بال المسلمين ومعتقداتهم ورموزهم فساداً دون أن يكون هناك دعاية بالمستوى المطلوب، وبالتالي لا نرى ردة الفعل ذاتها على الانتهاكات التي تصيب مقدسات المسلمين من تلك الأدوات.

فبنظرة واقعية بسيطة نجد أن ما تفعله عصابات الأسد أخطر بكثير من فلم مسيء، إنه واقع مسيء للمسلمين والإسلام ورموز الإسلام ومقدرات الإسلام بداية من قتل المسلمين والتنكيل بهم ونهاية بهدم دور العبادة والاستهزاء بها وحرق المصايف؛ مروراً بارتكاب جميع المحرمات التي يأبى الإسلام والمسلمون الحقيقيون أن يقبلوا بها، ويعينهم على ذلك ملالي إيران الذي أفرغوا دور العبادة من محتواها وحولوها إلى لطمويات ويريدون تعميم تجربتهم على بلاد المسلمين.

وباعتبار أن هذه المناسبة تشكل فرصة لتجديد الشعارات الزائفة التي كانوا يبيعونها للناس مقابل الولاء والبراء لذلك وجدنا زعيم حزب اللات يحرض أتباعه على ركوب موجة الاحتجاجات في محاولة يائسة لاستعادة ما خسره من شعبية نتيجة وقوفه بجانب طاغية الشام.

إن الخطر الحقيقي على الإسلام ليس من فلم مسيء لا معنى له ، وإنما من واقع مسيء ينشأ داخل بلاد المسلمين، ومن فقدان البوصلة الحقيقية عند العامة نحو هذا الخطر، ومن استجابة الخاصة لعواطف العامة والسير بعيداً خلف أهداف مشبوهة تُرسم لهم من بعيد.

فالمسلم الحقيقي هو الذي يملك الفعل الإيجابي ضد كل ما هو معادي للإسلام بدون أجندة مسبقة تشوّه المعنى الحقيقي لهذه الغضبة الشريفة ظاهراً والبغضية باطناً لدى من يستغلها بنذالة منقطعة النظير.

المصادر: